

مختصر ابن كثير

58 - وإن دخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين .

59 - فيبدل الذين ظلموا قولًا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون .

يقول تعالى لائماً لهم على نكولهم عن الجهاد ودخولهم الأرض المقدسة لما قدموا من بلاد مصر صحبة موسى عليه السلام فأمرموا بدخول الأرض المقدسة التي هي ميراث لهم عن أبيهم إسرائيل وقتل من فيها من العماليق الكفارة فنكلوه عن قتالهم وضعفوا واستحسروا فرماهم الله في التي عقوبة لهم كما ذكره تعالى في سورة المائدة ولهذا كان أحاج القولين أن هذه البلدة هي (بيت المقدس) كما نص على ذلك غير واحد وقد قال الله تعالى حاكياً عن موسى : { يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا } الآيات . وقال آخرون : هي (أريحا) وهذا بعيد لأنها ليست على طريقهم وهم قاصدون بيت المقدس لأريحا وأبعد من ذلك قول من ذهب إلى أنها مصر حكاه الرازى في تفسيره وال الصحيح الأول أنها بيت المقدس وهذا كان لما خرجوا من التي بعد أربعين سنة مع يوشع بن نون عليه السلام ولما فتحوها أمرموا أن يدخلوا الباب - باب البلد - (سجداً) أي شakra الله تعالى على ما أنعم به عليهم من الفتح والنصر ورد بلدهم عليهم وإنقادهم من التي والضلالة . قال العوفي في تفسيره عن ابن عباس : { وادخلوا الباب سجداً } أي ركعاً وقال الحسن البصري : أمرموا أن يسجدوا على وجوههم حال دخولهم واستبعده الرازى وحكي عن بعضهم أن المراد هنا بالسجود الخضوع لتعذر حمله على حقيقته وقال السدي : عن عبد الله بن مسعود : قيل لهم ادخلوا الباب سجداً فدخلوا مقنعي رؤوسهم أي رافعى رؤوسهم خلاف ما أمروا .

وقوله تعالى : { وقولوا حطة } قال ابن عباس : مغفرة استغفروا وقال الضحاك عن ابن عباس { وقولوا حطة } قال : قولوا هذا الأمر حق كما قيل لكم وقال الحسن وقتادة : أي احطط علينا خطايانا { نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين } وقال : هذا جواب الأمر أي إذا فعلتم ما أمرناكم غفرنا لكم الخطىئات وصاغينا لكم الحسنات . وحاصل الأمر أنه أمرموا أن يخضعوا الله تعالى عند الفتح بالفعل والقول وأن يعترفوا بذنبهم ويستغفروا منها ولهذا كان الله يظهر عليه الخضوع جداً عند النصر كما روى أنه كان يوم الفتح (فتح مكة) داخلاً إليها من الثانية العليا وإنه لخاضع لربه حتى أن عثثونه ليمس مورك رحله شakra الله على ذلك .

وقوله تعالى : { فيبدل الذين ظلموا قولًا غير الذي قيل لهم } روى البخاري عن النبي صلى

اً عليه وسلم : " قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فدخلوا يزحفون على أستاهم فبدلوا وقالوا حبة في شعرة (رواه البخاري عن أبي هريرة مرفوعا) " وقال الثوري عن ابن عباس في قوله تعالى : { ادخلوا الباب سجدا } قال : ركعا من باب صغير فدخلوا من قبل أستاهم وقالوا حنطة فذلك قوله تعالى : { فبدل الذين ظلموا قولوا غير الذي قيل لهم } .

وحاصل ما ذكره المفسرون وما دل عليه السياق أنهم بدلوا أمر الله لهم من الخضوع بالقول والفعل فأمروا أن يدخلوا سجدا فدخلوا يزحفون على أستاهم رافعي رؤوسهم وأمروا أن يقولوا حطة أي أحطط عنا ذنبنا وخطايانا فاستهزأوا فقالوا حنطة في شعيرة وهذا في غاية ما يكون من المخالفة والمعاندة ولهذا أنزل الله بهم بأسه وعدا به بفسقهم وهو خروجهم عن طاعته ولهذا قال : { فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون } . وقال الضحاك عن ابن عباس : كل شيء في كتاب الله من الرجز يعني به العذاب وقال أبو العالية : الرجز الغصب وقال سعيد بن جبير : هو الطاعون لحديث : " الطاعون رجز عذاب عذب به من كان قبلكم (الحديث رواه النسائي وأصله في الصحيحين) "